مجلة الشهاب • المجلد: 07، العدد: 01 (2021م) • ص ص299 - 312
(ISSN: 2477-9954, EISSN: 2602-5485)

تونس والقضية الفلسطينية
جهود الشيخ محمد الصادق بسيّس الملقب بالشيخ الفلسطيني نموذجا

Tunisia and the Palestinian cause
The efforts of Sheikh Muhammad Al-Sadiq Bossais, known as the Palestinian Sheikh, as a model

د/ دريس تراوري*
معهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية ـ تمبكتو ـ جمهورية مالي
idristraore@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/07/07 تاريخ القبول: 2020/09/05 تاريخ النشر: 2021/03/15

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص:

بعد قرار الجمعية العامة التابعة للأمم المتحدة، رقم 181، القاضي بتقسيم فلسطين، الذي صوّتت عليه الجمعية يوم 29 نوفمبر 1947م، هب العالم الإسلامي دولا، ومنظمات، وجماعات وأفرادا، احتجاجا على قرار التقسيم، واحتشدت الجموع الغفيرة للدفاع عن أراضي فلسطين المحتلة. وكان لتونس دور بارز في القضية الفلسطينية شهد به الداني والقاصي: من توعية، واحتجاج، وإنشاء لجان، وتعبئة للجماهير للدفاع عن فلسطين ماديا ومعنويا. وكان على رأس لجنة الدفاع عن فلسطين شخصية فريدة من نوعه، ضحى بكل ما لديه لأجل القضية، على حد أن سماه التونسيون بـ "الشيخ الفلسطيني" وهو الشيخ محمد الصادق بسيس، رحمه الله تعالى.

لقد تناولنا في هذه المقالة حياة الشيخ محمد الصادق بسيس وجهوده في التعريف بالقضية الفسطينية، ودفاعه عنها، ومساندتها لها بالمال والرجال.

الكلمات المفتاحية:

تونس؛ القضية الفلسطينية؛ الشيخ الفلسطيني.

Abstract :

On November 29, 1947, the United Nations General Assembly voted on Resolution No. 181 on the partition of Palestine. The Islamic world had protested against the partition resolution, and large crowds gathered to defend the occupied territories of Palestine. Awareness, protest, establishment of committees, and the mobilization of the masses to defend financially and morally for Palestine.

Unique personality was at the head of the Committee for the Defence of Palestine, who sacrificed everything he had for the cause, until the Tunisians were called the "Palestinian Sheikh". It is Sheikh Muhammad Al-Sadiq Bseis.

This research deals with the life of Sheikh Muhammad Al-Sadiq Bseis and his efforts in introducing the Palestinian cause, defending it, and supporting it with money and men.

Keywords: Tunisia; The Palestinian cause; Palestinian Sheikh**.**

* المؤلف المراسل.

1. مقدمة

تعتبر تونس من أكثر الدول اهتماما بالقضية الفلسطينية، فما إن جدّ جديد على الساحة الفلسطينية إلا وهبّ الشعب التونسي إلى نجدة إخوانهم الفلسطينيين؛ إما بالدعم السياسي قصد انتزاع تأييد دولي للقضية، وإما بالدعم المادي لمساعدة المنكوبين، وإما بالتضحية بالنفس للقتال من أجل تحرير فلسطين.

وكان وراء هذا الموقف التونسي المشرف رجال كرّسوا حياتهم الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، في سبيل الدفاع عن القضية الفلسطينية، فلم يألوا جهدا، ولم تأخذهم في ذلك لومة لائم.

ومن أولئك الرجال: الشيخ محمد الصادق بسيّس الملقب بالشيخ الفلسطيني، رئيس لجنة الدفاع عن فلسطين.

فمن هو الشيخ محمد الصادق بسيّس رحمه الله؟ وما هي جهوده المبذولة التي أهّلته لأن يلقب بالشيخ الفلسطيني؟

هذا ما سنتناوله في هذه الصفحات بشيء من الإيجاز من خلال المطبين الآتيين:

المطلب الأول: حياة الشيخ محمد الصادق بسيّس رحمه الله تعالى.

المطلب الثاني: جهود الشيخ الفلسطيني من أجل فلسطين.

---

2. المطلب الأول: حياة الشيخ محمد الصادق بسيّس رحمه الله تعالى:

وسوف نقدم نبذة عن نسبه ونشأته ونشاطه الديني والتعليمي، وكذا نضاله لتحرير تونس والمغرب العربي، مع بيان سبب تلقيبه بالشيخ الفلسطيني.

2. 1. التعريف به بالشيخ محمد الصادق بسيس:

الشيخ محمد الصادق ابن المرحوم الحاج محمود بسيّس، ولد بتونس العاصمة في 14 من ذي الحجة الحرام سنة 1332هـ، الموافق 2 نوفمبر 1914م.[1] في عائلة تونسية معروفة بمحافظتها على القرآن الكريم، وباهتمامها بالسنة النبوية؛ إذ كان والده الشيخ محمود من كبار حفاظ القرآن الكريم، وكان شديد الحرص في الإشراف على استظهاره ما حفظه ابنه في الكتاب، إلى أن أصبح من كبار الحفاظ المؤهلين للإمامة في صلاة التراويح بمسجد سيدي بن عروس بتونس، رغم حداثة سنه. وبعد وفاة أبيه، قام برعايته الشيخ عبد العزيز الباوندي، راعي المدارس القرآنية بتونس، فتتلمذ على يديه إلى أن تأهل للانخراط في سلك التعليم الزيتوني[2]. فالتحق بالجامع الأعظم في 18 جمادى الأولى سنة 1351هـ، الموافق لـ 18 سبتمبر سنة 1932م.[3]. وتخرج منها سنة 1943 – 1944م، بالشهادة العالمية.[4]

وأمّا خدمته للحديث النبوي فقد ظلّ طوال حياته يعلّم الناس أحاديث المصطفى عليه السلام، وكان له مجلسان: مجلس في الصيف في شهر رمضان بالجامع الأحمدي بالمرسى، كان يداوم على إلقاء الدروس فيه، ويحضره مجموعة كبيرة من الشباب والكهول الذين استفادوا منه استفادة كبيرة، فكان يبيّن لهم دروب الخير والحق اعتمادا على الشريعة الإسلامية، وعلى فهم الآيات القرآنية، كل ذلك في إطار التوعية الدينية، بعيدا عن المهاترات والتخدير.[5] ومجلس الشتاء، ليلة الجمعة من كل أسبوع في جامع أريانة، لشرح السنة النبوية وتفسير القرآن الكريم، وللشيخ رحمه الله تعالى ضلع كبير في تكوين بيت الحديث النبوي الشريف وتعميرها بأريانة بدروسه الناجحة.[6] وهذا ليس غريبا على الشيخ؛ إذ أخذ الحديث النبوي عن ثلة من المشايخ في تونس، منهم: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (1879-1973م)[7]، والشيخ محمد الصادق النيفر[8]، والشيخ عبد الحي الكتاني[9]، والشيخ محمد الزغواني (1399هـ - 1979م)[10]، والشيخ علي ابن عامر[11]، والشيخ عبد العزيز الباوندي[12]، رحمهم الله تعالى.

ولشدة حرصه على السنة النبوية، والدفاع عنها، كتب كتابا بعنوان "دفاع عن السنة النبوية"، لأن العصر الذي عاش فيه الشيخ شهد صراعا فكريا وهجوما على مصادر التشريع الإسلامي، خاصة الحديث النبوي بالتشكيك في قيمتها التشريعية، فكان الشيخ ممن تصدّوا لهذه الغارة[13].

كان الشيخ محمد الصادق بسيّس رحمه الله تعالى معروفا بجرأته وبدفاعه عن الدين، وعن العروبة، وعن الوطن، لا يأخذه في ذلك لومة لائم، ومعاركه القلمية مشهورة ومنشورة، وجريدة الزهرة[14]، والنهضة[15]، والصباح[16]، والعمل[17] ومجلة الفكر[18]على ذلك شاهدة.

2. 2. نضاله لتحرير تونس والمغرب العربي

كان الشيخ محمد الصادق من أبرز المناضلين الذين كرسوا جهودهم في مقاومة الاستعمار الغاشم في تونس؛ وذلك بجهوده في جمعية الشبان المسلمين وتونس الفتاة، إلى أن سجن في حوادث 9 أفريل 1938م[19]. كما قاوم الاستعمار كذلك في المغرب العربي؛ إذ كان يحس بالعالم الإسلامي كالجسد الواعد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى، خاصة إذا كان الأمر يتعلق بدولة تجمعها مع تونس أواصر دموية كدول المغرب العربي؛ ولذلك كانت له علاقة متينة بالمقاومة الجزائرية.[20]: كانت علاقته بالشيخ عبد الحميد بن باديس (1889-1940م) متينة، وكان الشيخ محمد الصادق بسيّس يلازمه عندما كان يزور تونس ضيفا على زميله معاوية التميمي في حمام الأنف، وكانت له علاقة متينة مع أعلام جمعية العلماء المسلمين بالجزائر كالشيخ محمد البشير الإبراهيمي خليفة الشيخ ابن باديس على رئاسة الجمعية، والشيخ العربي التبسي الذي أصبح من ضحايا حركة التحرير بالجزائر، لأنه اختطف واغتيل ولا أحد يعرف أين ذهبوا به إلى الآن[21]، والأستاذ أحمد حماني الذي كان مفتي الجزائر،

وكان الأستاذ مولود قاسم -وزير الشؤون الدينية بالجزائر- من الذين تتلمذوا على يديه في جامع الزيتونة. كما شارك في كثير من ملتقيات الفكر الإسلامي بالجزائر.

2. 3. لماذا لقب الشيخ محمد الصادق بسيّس بالشيخ الفلسطيني؟

كان الشيخ الصادق رحمه الله تعالى من أسبق التونسيين عناية بقضية فلسطين الشهيدة، إذ جعلها في طليعة اهتماماته بالقضايا العربية والإسلامية التي رصد منذ شبابه المبكّر نفسه وفكره وقلمه لإبرازها والذود عنها، فكانت مواقفه إزاءها وإزاء غيرها جدّ مشرّفة في كل مراحل حياته وألوان نشاطه.[22]

وترجع صلة الصادق بسيّس بقضية فلسطين إلى فترة مبكرة من حياته حينما كان ينشط في جمعية الشبان المسلمين[23]، فما أن أعلنت ثورة 1936م، وأعلن العصيان المدني على نحو شامل، وقام الثوار بأعمال بطولية ضد الإنجليز وعصابات الصهاينة حتى تأسست في عديد البلاد العربية لجان إغاثة ودفاع عن فلسطين الشهيدة، وكانت تونس – وهي تحت نير الاستعمار الفرنسي – سباقة إلى نجدة أبناء الوطن السليب، فتأسست "جمعية إغاثة منكوبي فلسطين" برئاسة أحمد بن ميلاد (1902 – 1994م)، وبمعية السادة : الصادق بسيّس (الكاتب العام)، ومحمد المقدم (أمين المال)، وإبراهيم ونيش ومحمد العربي (أعضاء)، حيث تولّت جمع التبرّعات المالية لإرسالها للأمين العام للمؤتمر الإسلامي بالقدس، الشيخ محمد الأمين الحسيني.[24]

ثم عرف نشاط هذه الجمعية تراجعا مع الحرب العالمية الثانية، ولكن ما إن اضطربت الأحوال في فلسطين على اشتداد وقع الأعمال الإرهابية التي قامت بها العصابات المسلّحة الصهيونية في سنة 1947م، حتى أعيد تأسيس تلك الجمعية، ولكن باسم جديد، هو "لجنة الدفاع عن فلسطين العربية"، وتولّى رئاستها هذه المرّة الشيخ محمد الصادق بسيّس، وضمت جمعا محترما من شخصيات تونس.[25] وإثر الإعلان عن قيام دولة إسرائيل في شهر ماي 1948م، دعت لجنة الدفاع عن فلسطين، برئاسة الشيخ الفلسطيني، السادة المشايخ وخطباء المساجد في جميع المدن والقرى ليخطبوا يوم الجمعة في موضوع الحرب، وأن يحرضوا المسلمين على الاستعداد والصبر والجلد واحتمال المكاره والثبات أمام هذه الإشاعات الباطلة والأراجيف التي تذيعها الشركات الإخبارية الصهيونية، بثّا للهزيمة وخلعا للقلوب، وأن يبينوا للمسلمين أن هذه القضية الفلسطينية قضية حياة أو موت بالنسبة للمسلمين في جميع أقطار الأرض، بنجاحها ينجحون وبسقوطها يسقطون.

وإثر إعلان تأسيس الدولة الإسرائيلية سنة 1948م، شارك في تأسيس اللجنة التونسية العليا لإنقاذ فلسطين العربية،[26] برئاسة الشيخ محمد الفاضل بن عاشور، وكان الشيخ الفلسطيني المحور الأساسي للجنة؛ إذ كان المشرف على استقطاب المتطوعين للدفاع عن الأرض المسلوبة وجمع التبرعات،[27]

وبفضل فصاحته المعهودة في خطبه الحماسية؛ تجمّع خلال النصف الأول من شهر ماي فقط عام 1948م، نحو 3000 متطوّع [28] للدفاع عن أراضي فلسطين المسلوبة.

لقد عرف الشيخ الصادق رحمه الله تعالى "بالدفاع المتحمّس عن قضيّة فلسطين "[29]، بحيث دافع عنها دفاعا لم يعهد في مثله؛ فدافع بنفسه وماله، وبخطبه ومقالاته، ووصل به الأمر إلى أن قدّم النشاط لأجل فلسطين على واجباته، ويروى أنه لما كثر تخلّفه عن دروسه، استدعاه شيخ الجامع الأعظم – إذ ذاك – الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور (1879-1973م)، ولامه على هذا التخلّف، وما فيه من إخلال بالواجب، ومن جملة ما قاله له "قضية فلسطين انزبشويها"[30]. كان الشيخ رحمه الله مؤمنا بأن العالم الإسلامي كالجسد الواحد، وكان يرى ترتيب الأمور حسب الأولوية، ولذلك قدّم العمل لإنقاذ إخواننا الذين وقعوا ضحية مؤامرة استعمارية غاشمة على غيره من الأعمال[31].

وإيمانا بهذه الأخوة لم يأل الشعب التونسي جهدا في التضحية بالنفس والمال لمساعدة الشعب الفلسطيني، الذي لم يبق له ملجأ إلا إخوانه المتضامنين معه، وسوف لن ينسى التاريخ هذه الوقفة المباركة التي هي مدين لجهود الشيخ الصادق رحمه الله تعالى.[32]

أرسل الشيخ الصادق رحمه الله برقية إلى السيد أمين الحسيني زعيم فلسطين، مبينا موقف تونس خاصة، والمغرب العربي عامة من قضية فلسطين، والتي جاء فيها " أن الحاضرين بالاجتماع الذي عقدته لجنة الدفاع عن فلسطين مساء السبت 29 رمضان 1366هـ، يؤيّدون زعيم فلسطين في كفاحه لإنقاذها من الصهيونية والانتداب الإنكليزي، واستعدادهم لتحقيق ما سيقرّر من قرارات لفائدة فلسطين في المستقبل، ويشعرون إخوانهم في فلسطين وفي العالم الإسلامي أن المغرب العربي عامة وتونس خاصة سيكون في الحاضر والمستقبل كما كان في الماضي قلعة من قلاع الدفاع عن عروبة فلسطين إلى يوم استقلالها المنشود. وأن شعار المغرب في نضاله: فلسطين للعرب".[33]

3. المطلب الثاني: جهود الشيخ الفلسطيني من أجل فلسطين:

كان الشيخ محمد الصادق بسيّس يعمل كسفير للقضية الفلسطينية؛ وذلك من خلال ما يأتي:

3. 1. المراسلات:

أسهم الشيخ بالتعريف بالقضية على المستوى المحلي والدولي من خلال مراسلاته إلى الشخصيات والمنظمات الدولية، كمراسلاته مع الشيخ أمين الحسيني[34]، ومع وزير الدولة المصرية المفوض لدى الجمهورية الفرنسية[35]، والأمانة العامة لجامعة الدول العربية[36]، والأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة[37] والوزارة الفرنسية[38]، ومع الإخوة الجزائريين. كل تلك المراسلات ساهمت في التعريف بالقضية الفلسطينية على مستوى عالمي[39].

3. 2. الخطابة:

اتخذ الشيخُ المنابرَ أيضا للتعريف بالقضية، وذلك للتوعية المباشرة، سواء في خطبه الجمعية، أو على منبر الجامع الأعظم[40] أو على منبر جمعية قدماء الصادقية[41]، أو بِحَثِّ الخُطباء على التوعية والحثّ على التضامن مع الشعب الفلسطيني.[42]

3. 3. الصحف والمجلات:

اعتمد الشيخ على الصحف والمجلات، لكونها وسيلة ناجعة لإيصال القضية إلى المثقفين في تونس وفي العالم العربي، والإسلامي، ويمكن تقسيم المقالات التي كتبها الشيخ إلى مجموعتين كبيرتين: المجموعة الأولى تحث على التضامن مع الشعب الفلسطيني، ومنها: "قضية المسلمين جميعا: فلسطين تجاهد لأجل حياتها"[43] و"فلسطين تنادي فهل من مجيب؟ "[44] و"يا مسلمون يا مسلمات أجيروا فلسطين العربية"[45] و"أيها الشعب المغربي أغث فلسطين واحمها" و"في سبيل فلسطين المجاهدة: أنقذوا ميراث المسلمين جميعا: فلسطين العربية"[46] و"جاهدوا بأموالكم: يوم فلسطين الأكبر"[47] و"القنوت في الصلاة من أجل فلسطين والخطابة في تحريض المسلمين على الثبات"[48] و"احتجاج الشعب التونسي على تقسيم فلسطين العربية" و"مذكرة لجنة الدفاع عن فلسطين" و"تونس تعمل لإنقاذ شقيقتها فلسطين"[49] و"رفض الشعب التونسي لمشروع تقسيم فلسطين العربية"[50].

والمجموعة الثانية هي مقالات تفضح تحركات الصهاينة، ومنها: "لجنة الدفاع عن فلسطين: تنذر الجالية اليهودية وتستجوب الحكومة التونسية"[51]، و"لجنة الدفاع عن فلسطين: منشور صهيوني يوزع على يهود تونس"[52]، و"الصهيونية في تونس خطر على الأمن العام"[53]، و"هل أصبحت تونس يهودية"[54].

3. 4. الرحلات:

ومن الوسائل التي استخدمها الشيخ للتعريف بالقضية الفلسطينية: الرحلات؛ حيث لم يكن الشيخ رحمه الله تعالى -بصفته رئيسا- يكتفي بإعطاء الأوامر، بل كانت أوامره في أفعاله، فكان يجوب البلاد شرقا وغربا، ينظم الاجتماعات في المدن والقرى، ويوضح للناس القضية، ويشعرهم بجسامة المسؤولية إزاءها.[55]

3. 5. المحاضرات:

كان الشيخ يوظف المحاضرات التي كان يلقيها في المؤتمرات والندوات، أو أمام طلبته في الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين، أو في خطبه ودروسه في الجامع الأحمدي بالمرسى، أو في جامع أريانة، لم يكن يترك فرصة تمرّ إلا وذكر الحاضرين بقضية فلسطين وبخطر الصهيونية على العالم الإسلامي. كل

هذه الجهود جعلت الشعب التونسي يطلق على الشيخ محمد الصادق بسيّس لقب "الشيخ الفلسطيني"، وعرف به أيضا خارج تونس، وسيشهد له هذا اللقب أمام التاريخ في هذه الحياة الدنيا، وأمام الله تعالى في الآخرة على إخلاصه وتفانيه لمساعدة إخوانه الفلسطينيين. والله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

اجتهد الشيخ في فضح تحركات الصهاينة، خاصة في المغرب العربي، وكان جزء كبير في مراسلاته مع أمين الحسيني متعلقا بهذه المهمة. وفي إحدى رسائله إلى الشيخ محمد الصادق [56] يقول فيه: "نرجو من فضيلتكم أن تبلغوا أعضاء لجنتكم الكرام شكرنا الخالص على هذا العمل الطيب الذي شرعتم فيه، كما نرجو أن توافونا بكل ما ينشر أو يذاع في تونس بشأن القضية الفلسطينية، وأن تمدونا بالأخبار والمعلومات عن الحركة الصهيونية في البلاد التونسية الشقيقة خاصة، وفي المغرب العربي على وجه العموم. وسنوافيكم بنشرات مكتب الهيئة العربية العليا بالقاهرة ومطبوعاته، وبكل ما من شأنه أن يساعدكم على خدمة القضية ".

وبالفعل، كان الشيخ رحمه الله تعالى بالمرصاد للحركة الصهيونية بالمغرب العربي، حيث كتب يقول: "وبعد بحث طويل، وتتبع متواصل من لجنة الدفاع عن فلسطين تبيّن بانكشاف، وظهر في جلاء أن الجالية اليهودية التي تعيش تحت ظل بلاد المغرب العربي: تونس والجزائر والمراكش، ما زالوا يجمعون الإعانات، ويرصدون الأموال الوفيرة الكثيرة، ويعقدون الاجتماعات، وينشرون المناشير، وينظمون الأعمال لإعانة الصهيونية في فلسطين إعانة من يشارك مشاركة عملية في اقتطاع فلسطين العربية وإخراجها من سلطان العرب إلى بني إسرائيل "[57].

ثم إن الشيخ رحمه الله تعالى كان يبعث بأعداد الجرائد التي نشرت مقالاته عن تحركات الصهاينة[58] إلى الشيخ أمين الحسيني كما طلبه منه[59]، ولم يكتف بفضح تحركاتهم بل طالب المقيم العام الفرنسي في تونس "بتعطيل صحف الصهيونية، ومنع هجرة اليهود التونسيون إلى فلسطين"[60] كما طالب بحل المنظمات الصهيونية[61].

ويظهر أن نشاط الشيخ المكثف لنصرة الشعب الفلسطيني والموقف الحازم والصارم من مكائد الصهيونية في تونس في ذلك الزمن قد عبّأ نفوس العديد من غلاة الصهيونية والاستعمار، فرفعوا قضية ضده إلى المحكمة الجنائية الفرنسية بتونس.[62] وبسبب الشهرة التي أخذتها القضية، لم تجرؤ السلطة الاستعمارية على إدانته، فاكتفت بغرامة رمزية.

3. 6. التضامن بالمال:

كانت اللجنة برئاسة الشيخ الصادق رحمه الله تعالى تقوم بجمع التبرّعات وإرسالها إلى اللاجئين الذين شردهم الطغيان الصهيوني، ولمساعدة المجاهدين في سبيل تحرير القدس الشريف ثالث الحرمين، وكانت

للجنة فروع في كافة أنحاء البلاد التونسية لجمع التبرعات. واتخذ الشيخ الصادق جمعية قدماء الصادقية مقرا لجمع التبرّعات.[63] وكان يساهم بنفسه في جمع التبرّعات للجنة إغاثة فسطين[64] وكانت الأموال المتجمعة تخضع لمراقبة شديدة حتى لا تطالها يد عابثة، فكانت الحسابات تدوّن في دفاتر خاصة، فإذا تجمّع قدر محترم أرسله إلى مفتي فلسطين الشيخ أمين الحسيني، إما عن طريق إرسالها إلى وزير الدولة المصرية المفوّض لدي الجمهورية الفرنسية.[65] أو عن طريق البنوك الفرنسية الذي كان له ترابط مع البنك المصري الذي كانت هيئة الدفاع عن فلسطين تؤمّن أموالها لديه.[66] أو عن طريق الأمانة العامة لجامعة الدول العربية لتوصلها إلى هيئة الدفاع عن فلسطين العربية.[67] أو عن طريق المقر العام لجمعية الشبان المسلمين بالقاهرة، لتتولّى أمانه تسليمها إلى مستحقّيها.[68] أو عن طريق ليبيا إلى الشيخ الهادي المشرقي[69] ليرسلها إلى أمين الحسيني.

3. 7. التضامن بالرجال:

عندما صوتت الأمم المتحدة على قرار تقسيم فلسطين 27 نوفمبر 1947م، أثار القرار ردود فعل حادّة في البلاد، وخاصة في الأوساط الزيتونية [70] فنظم لجنة الدفاع عن فلسطين تجمعات لمساندة فلسطين، منها التجمع الكبير الذي انتظم بجامع صاحب الطابع يوم 4 ديسمبر 1947م[71]، والذي جمع أكثر من ثلاثة آلاف شخص، وتجمع 5 ديسمبر 1947م، بجامع الزيتونة، والذي ضم ستة آلاف شخص.[72]

وبدفع من الزيتونيين وبمساعدة الحزب الدستوري القديم أنشئت "اللجنة العليا للدفاع عن فلسطين" وسيترأسها الشيخ الفاضل ابن عاشور، والشاذلي بلقاضي، ولكن العنصر المحوري فيها سيكون الشيخ الصادق بسيّس وأخذت على عاتقها استقطاب المتطوعين وجمع الأموال[73].

وكان للشيخ الصادق بسيّس رحمه الله تأثير كبير في جمع المتطوّعين للدفاع عن الأرض المسلوبة، وبفضل فصاحته المعهودة في خطبه الحماسية، تجمّع خلال النصف الأول من شهر ماي فقط نحو 3000 متطوّع[74].

ولم يقتصر تطوّع الشعب التونسي بنفسه للدفاع عن فلسطين على عام 1948م، بل كلما تعرض الشعب الفلسطيني لعدوان إلا وهبّ الشعب التونسي للدفاع عنه بالنفس والمال رغم عراقيل السلطة الاستعمارية،[75] وذلك بفضل رجال مثل الشيخ الصادق بسيّس والفاضل ابن عاشور وأحمد بن ميلاد وغيرهم، كرسوا أنفسهم لشحذ الهمم كلما دعت إلى ذلك الحاجة.[76]

3. 8. التضامن بالدعاء:

في شهر ماي 1948م، دعت لجنة الدفاع عن فلسطين السادة المشايخ وخطباء المساجد في جميع

المدن والقرى أن يأمروا المسلمين بالقنوت في صلاة الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء للدعاء لفلسطين.[77] كما نظّمت في شهر رجب 1355هـ/1936م، يوم صوم تضامنا مع الشعب الفلسطيني، فأصبحت مقاهي المدينة العربية ومحلات بيع المأكولات موصدة أبوابها في كامل هذا اليوم إلا القليل النادر منها، وقد أمسك المسلمون عن تناول الطعام استجابة لصوت فلسطين الشهيدة، وإعلانا لتضامنهم مع شقيقتهم المضطهدة بحيث كنت ترى الأحياء الإسلامية بعاصمة تونس كأنها في يوم من أيام رمضان.[78]

4. الخاتمة

عرفت تونس بموقفها الثابت من القضية الفلسطينية، وذلك بفضل رجال كالشيخ محمد الصادق بسيّس، كرسوا حياتهم لهذه القضية، وذلك بالتعريف بها، ومساندتها، والدفاع عنها بكل ما أوتوا من قوة؛ لأنهم كانوا يؤمنون بوحدة مصير العالم الإسلامي، ولم يكونوا محصورين داخل الحدود التي اصطنعها المستعمرون لفصل بعضنا عن بعض، كما آل إليه الأمر اليوم.

كانت القضية الفلسطينية في بدايتها تعرف بقضية العالم الإسلامي واليهود، ثم انحدرت إلى مستوى القضية العربية الإسرائيلية أيام كانت الجيوش العربية تدافع عن فلسطين، ثم آل الأمر إلى ما يعرف اليوم بالقضية الفلسطينية الإسرائيلية.

لقد بذل العالم الإسلامي ما بوسعه في هذه القضية حتى رضيت من الدفاع عن فلسطين بالتعاطف على المنكوبين منهم، وما ذلك إلا لأن الجهود المبذولة كانت مرتجلة، ولم تكن مؤسسة على رؤية واضحة، ولا على تخطيط محكم، شأنه شأن جهود العالم الإسلامي في كل الميادين.

5. المصادر والمراجع:

1. بوذينة، محمد، مشاهير التونسيين، 1988م.
2. تراوري، دريس، محمد الصادق بسيّس: جهوده وآراؤه الإصلاحية، ص: 12، بحث غير منشور.
3. جريدة الزهرة، 1936/02/29.
4. جريدة الصباح، 13/06/ جويليا، 1961.
5. جريدة العرب، باريس 1948/7/9.
6. جريدة العمل 1971/03/26.
7. جريدة النهضة 1950/08/08.
8. الدفتر التعليمي لمحمد الصادق بسيس بالجامع الأعظم، 1351هـ/1932م.
9. الساحلي، محمد العزيز، بعنوان "الشيخ محمد الصادق بسيس وحركات التحرير في العالم الإسلامي" في ندوة "جوانب من شخصية الشيخ محمد الصادق بسيّس" 26 ماي 2010.

10. سعادة، محمد الكامل، برنامج " أقلام وأعلام " إذاعة الزيتونة، الموضوع: الشيخ محمد الصادق بسيّس، 2010/03/26.
11. السعدي، أبو زيان، محمد الصادق بسيّس: حياته وآثاره، وزارة الثقافة، 2002.
12. الطيب بسيّس، محمد، كلمته في أربعينية شقيقه محمد الصادق بسيّس، 1978م.
13. المجلة الصادقية، سلسلة جديدة ـ السنة ـ 21، العدد ـ 63 ديسمبر، 2016.
14. مجلة الفكر، دسمبر، 1968.
15. مجلة الهداية، نوفمبر، 1978.
16. مجلة بلادي، أكتوبر، 1978.
17. محفوظ، محمد، تراجم المؤلفين
18. المستاوي، محمد، جوهر الإسلام، السنة 11، العدد 3-4، 1399هـ/1979م.
19. المستيري، سعيد، المنصف باي: الحكم والمنفى، ترجمة: هشام القروي، دار الأقواس للنشر.
20. ملتقى الإمام ابن عرفة، وزارة الشؤون الثقافية، تونس، ط 1977م.
21. موقع الحرية، السبت 2009/11/07.
22. النيفر، محمد الشاذلي، مداخلته في ذكرى وفاة الشيخ محمد الصادق بسيّس بالجزائر، 25 نوفمبر 1978.

6. الحواشي والإحالات :

[1]- كلمة شقيقه بسيّس، محمد الطيب في أربعينيته، 1978م، ص: 3؛ بوذينة، محمد، مشاهير التونسيين، 1988م، ص: 122؛ مداخلة ألقاها الشيخ النيفر، محمد الشاذلي في ذكرى وفاة الشيخ محمد الصادق بسيّس بالجزائر، 25 نوفمبر 1978، مكتبة آل النيفر.

[2]- كلمة بسيّس، محمد الطيب في اربعينية أخيه الصادق، 1978؛ انظر السعدي، أبو زيان، ص: 25.

[3]- دفتره التعليمي بالجامع الأعظم، 1351هـ/1932م، رقم: 107.

[4]- ملتقى الإمام ابن عرفة، وزارة الشؤون الثقافية، تونس، ط 1977م، ص: 545.

[5]- بلادي، أكتوبر، 1978.

[6]- سعادة، محمد الكامل، برنامج "أقلام وأعلام" إذاعة الزيتونة، الموضوع: الشيخ محمد الصادق بسيّس، 2010/03/26.

[7]- المصدر نفسه، 133/1.

[8]- محاضرة الشيخ النيفر، محمد الشاذلي، بالجزائر، 25 نوفمبر 1978م.

[9]- تراجم المؤلفين، 134/1.

[10]- المستاوي، محمد، جوهر الإسلام، السنة 11، العدد 3-4، 1399هـ/1979م، ص: 57.

[11]- دفتره التعليمي بالجامع الأعظم، 1351هـ/1932م.

[12]- كلمة أخيه بسيّس، محمد الطيب في أربعينيته، 1978؛ السعدي، أبو زيان، المصدر السابق، ص: 25 – 26.

[13]- انظر محمد الصادق بسيّس: جهوده وآراؤه الإصلاحية، د. دريسا تراوري، ص: 12، بحث غير منشور.

[14]- انظر مقالاته "الإسلام والموسيقى" وهو رد على صديقه محمد المرزوقي. الزهرة، 1936/02/29؛ وكذلك 1936/03/01؛ والعمل 1971/03/26.

[15]- انظر نقده لكتاب الكاتب المصري خالد محمد خالد، بعنوان "من هنا... نبدأ" جريدة النهضة 1950/08/08.

عنوان المقالات:

- فتنة التقليد في رأس أزهري
- الخبز.. هو السلام.
- قومية الحكم.
- الدين والدولة.
- الإسلام عقيدة قلبية ودستور دولة.
- غرائز الحكومة الدينية.

[16]- انظر رده على محمد فريد غازي، بعنون "دفاع عن الإسلام" تحته سلسلة مقالات بعنوان:

- بين الإسلام والمادية التاريخية، الصباح، 13/06/ جويلية 1961.
- الإسلام والرق، الصباح 07/26 و1961/08/02.
- الإسلام والإقطاع 1961/09/01.
- الإقطاع الأوروبي 1961/09/12.
- الإقطاع في الشريعة الإسلامية، 28 سبتمبر، 12 أكتوبر، 30/23/17/09 نوفمبر، 07 ديسمبر 1961.

[17]- انظر مقالتيه "العربية بين الوفاء والجحود" وكذلك "حجة داحضة لدعاة العامية" وهو رد على رشاد الحمزاوي الذي كان من دعاة العامية، العمل، 23/22 أوت 1969.

[18]- انظر مقالته "الإنسان الصفر" وهو رد على عز الدين المدني عام 1968، مجلة الفكر، دسمبر 1968

[19]- بلادي، من 16 إلى 22 أكتوبر 1978.

[20]- مداخلة الشيخ النيفر، محمد الشاذلي في ذكرى وفاة الشيخ الصادق بسيّس بالجزائر، في 25 نوفمبر 1978، مكتبة آل النيفر.

[21]- انظر مقال الشيخ الصادق "أين الشيخ التبسي: فرنسا تتحدى الشعور الديني في الجزائر، جريدة الصباح 1957/05/02.

[22]- مجلة الهداية، نوفمبر 1978، ص : 104؛ تراجم المؤلفين، محفوظ، محمد، 130/1.

[23]- كان رئيس جمعية الشبان المسلمين 1936م، انظر الزهرة 1936/10/17؛ نائب تونس بالمركز العام للشبان المسلمين بمصر، انظر الزهرة 2 ربيع الثاني 1362هـ.

[24]- السعدي، أبو زيان، المصدر السابق، ص: 47؛ انظر محاضرة الأستاذ الساحلي، محمد العزيز، بعنوان "الشيخ محمد الصادق بسيس وحركات التحرير في العالم الإسلامي "في ندوة" جوانب من شخصية الشيخ محمد الصادق بسيّس".

[26]- ماي 2010.

[25]- السعدي، أبو زيان، المصدر السابق، ص: 49.

[26]- الزهرة 20 ماي 1948.

[27]- المستيري، سعيد، المصدر السابق، ص: 315.

[28]- انظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[29]- محفوظ، محمد، المصدر السابق، 130/1.

[30]- من كلمة "يوزباشية" التركية، وتعني رتبة عسكرية. انظر: محفوظ، محمد، المصدر السابق، 130/1.

[31]- انظر الشيخ محمد الصادق بسيّس: جهوده وآراؤه الإصلاحية، دريسا تراوري، بحث غير منشور.

[32]- انظر محاضرة الشيخ النيفر، محمد الشاذلي في الجزائر 25 نوفمبر 1978م.

[33]- انظر أيضا الزهرة، رمضان 1366هـ، مقال "تونس تعمل لإنقاذ شقيقتها فلسطين".

[34]- انظر الزهرة، رمضان 1366هـ.

[35]- انظر السعدي، أبو زيان، محمد الصادق بسيّس، ص: 373.

[36]- المصدر نفسه، ص: 374.

[37]- النهضة، 16 ذو القعدة 1367هـ/ 22 سبتمبر 1948م، ص: 1؛ الزهرة 20 ماي 1948م.

[38]- الزهرة 20 ماي 1948م.

في احتجاج الشعب التونسي على تقسيم فلسطين العربية، وجهوا احتجاجا إلى قناصل الدول لدى الحكومة التونسية الذين وافقت دولهم على مشروع التقسيم، وهم قنصل فرنسا والبلجيك وروسيا، والولايات المتحدة، وهولندة، والدانمارك، والنرويج، والسويد، وتشيكوسلوفاكيا". انظر الزهرة: مقال الشيخ الصادق : احتجاج الشعب التونسي على تقسيم فلسطين العربية، 1948م.

[39]- في احتجاج الشعب التونسي على تقسيم فلسطين العربية، وجهوا احتجاجا إلى قناصل الدول لدى الحكومة التونسية الذين وافقت دولهم على مشروع التقسيم، وهم قنصل فرنسا والبلجيك وروسيا، والولايات المتحدة، وهولندة، والدانمارك، والنرويج، والسويد، وتشيكوسلوفاكيا" انظر: الزهرة: مقال الشيخ الصادق: احتجاج الشعب التونسي على تقسيم فلسطين العربية، 1948م.

[40]- الزهرة، 1948، مقال احتجاج الشعب التونسي على تقسيم فلسطين.

[41]- الساحلي، محمد العزيز، محاضرته في ندوة "جوانب من شخصية الشيخ محمد الصادق بسيّس"، 26 ماي 2010.

[42]- الزهرة 14 ماي 1948م.

[43]- الزهرة، 27 / 11 / 1936؛ 1936/12/29م.

[44]- الزهرة 1936/12/23م.

[45]- الزهرة ربيع الثاني 1355هـ

[46]- الزهرة 29 جمادي الأولى 1355هـ.

[47]- الزهرة 26 رجب 1948م.

[48]- الزهرة 14 ماي 1948م.

[49]- الزهرة 1937/08/12م.

[50]- الزهرة شوال 1366م.

[51]- الزهرة 10 مارس 1948م.

[52]- الزهرة 7 مارس 1948م.

[53]- الزهرة 1948م.

[54]- الزهرة 16 ماي 1948م.

[55]- العمل 16 مارس 1971م؛ الصادقية أكتوبر 2002م.

[56]- الزهرة رمضان 1366هـ.

[57]- الزهرة 12 مارس 1948م. مقال " لجنة الدفاع عن فلسطين تنذر الجالية اليهودية وتستوجب الحكومة التونسية ".

[58]- الزهرة، ماي 1948م. مقال: الصهيونية في تونس خطر على الأمن العام.

[59]- مراسلة بين الشيخ وأمين الحسيني.

[60]- انظر تفاصيل هذه الزيارة في الزهرة 16 ماي 1948 مقال: هل أصبحت تونس يهودية؟

[61]- الزهرة 16 ماي 1948م.

[62]- الزهرة، 16 ماي 1948م.

[63]- الساحلي، محمد العزيز، محاضرة بعنوان " الشيخ محمد الصادق بسيّس وحركات التحرير في العالم الإسلامي " في ندوة "جوانب من شخصية الشيخ محمد الصادق بسيّس " 26 ماي 2010م.

[64]- انظر الزهرة 1936/12/2م.

[65]- السعدي، أبو زيان، محمد الصادق بسيّس، ص: 373؛ جريدة العرب، باريس 1948/7/9م.

[66]- كلمة بسيّس، محمد الطيب في أربعينية الشيخ الصادق بسيّس، 1978م؛ وكلمته الإذاعية في نفس السنة.

[67]- انظر السعدي، أبو زيان، المصدر السابق، 374.

[68]- الزهرة، 1936/11/10م.

[69]- يروي أبو القاسم كرو أن الحبيب بورقيته كان عند الشيخ الهادي المشرقي ذات مرة عندما جاءه رسول الشيخ الصادق

رحمه الله بالمال، فقل له بورقيبه (هات، أعطيها لي، تونس أولى بها، الأمين الحسيني صاحبي، وأنا ماشي لمصر، توه نوصّلها) وافتك بورقيبه الفلوس من الهادي المشرقي. وكان ذلك سنة 1946م أو 1947م. وذكر أبو القاسم أنه عندما كان مديرا للمركز الثقافي بليبيا، جاءه المشرقي وأعطاه وثيقة بخط يده لتبرئة ذمته أمام الله، وأن الوثيقة موجودة عند عبد الجليل التميمي. مقابلة مع ابن الشيخ خالد بسيّس بأريانة 2010/09/12م.

[70]- المستيري، سعيد، المنصف باي : الحكم والمنفى، ترجمة : هشام القروي، دار الأقواس للنشر، ص : 309.

[71]- انظر الزهرة، 1947/12/06م.

[72]- موقع الحرية، السبت 2009/11/07م.

[73]- المستيري، سعيد، المصدر السابق، ص: 315.

[74]- انظر المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[75]- انظر الزهرة ماي 1948، مقال : الصهيونية خطر على الأمن العام.

[76]- انظر عناوين بعض الصحف التونسية:

- شباب تونس يعلن استعداده للمعركة.
- المرأة التونسية على استعداد لتحمل قسطها في المعركة.
- العمال التونسيون يتضامنون مع إخوانهم العرب لخوض المعركة.
- طلابنا يؤكدون العزم للمساهمة في المعركة.
- المزارعون يعلنون تضامنهم المطلق.
- الموسيقى العسكرية والأناشيد الوطنية تحل محل البرامج العادية في الإذاعة الوطنية.
- الجيش التونسي على أهبة الاستعداد لنجدة القوات العربية ببسالة.
- فتح باب التطوع أمام المواطنين. انظر جريدة الصباح، 1967/06/06.

[77]- الزهرة 14 ماي 1948.

[78]- الزهرة، 22 رجب 1355هـ / 1936/10/14.